مجلة رفوف–مخبر المخطوطات – جامعة أدرار– الجزائر_____ المجلد 09 / العـدد: 02 (جويلية 2021) ص 217– 228
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

استراتيجية العتبات في رواية رقان حبيبتي

لـ: فيكتور مالو سيلفا

Text Thresholds Strategy in the Novel Reggan Habibati

By Victor Malo Silva
الدكتورة: الضاوية بريك
Dr: Daouya brik
جامعة أدرار (الجزائر)، dao.brik@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام:2021/05/17	تاريخ القبول: 2021/07/01	تاريخ النشر : 2021/07/14

الملخص:

تستقطب العتبات النصية اليوم جهود وأقلام النقاد والباحثين في دراسة النصوص الأدبية، خاصة الرواية، يحاول هذا البحث استقراء استراتيجية بناء العتبات في رواية "رقان حبيبتي" وعلاقتها بالبنى الدلالية المحورية في متن الرواية. حيث تم تنسيق هذه العتبات بوعي فني أضاء دهاليزها الدلالية، فكل من الغلاف والعنوان والإهداء مناصات غنية أسهمت في إيصال فكرة المؤلف وإغناء دلالات النص وفضحت مأساة رقان المغدورة وبشاعة الجريمة الاستعمارية التي لا زالت آثارها باقية إلى اليوم.

الكلمات المفتاحية: العتبات النصية، النص، الدلالة، الشعرية، الرواية.

Abstract:

The textual thresholds today attract the efforts of critics and researchers in literary studies, especially the novel.This research attempts to extrapolate the strategy of building the textual thresholds in the novel " Reggan Habibati " and its relationship to the semantic structures in the body of the novel.

These thresholds were coordinated with an artistic awareness that illuminated their semantic vestibules, both the cover, the title and the dedication are rich pallets that contributed to convey the idea of the author and to enrich the meanings of the text. It also reveals the tragedy of the betrayed Reggan and the atrocious colonial crime which still up to present time.

Keywords*:* Textual Thresholds, Text, Significance, Poetry , Novel.

المؤلف المرسل: د.الضاوية بريك، الإيميل: dao.brik@univ-adrar.edu.dz

1.مقدمة:

استمر الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر مدة طويلة تجاوزت القرن من الزمن، ارتكب خلالها جرائم نكراء في حق الإنسان الجزائري لأجيال متعاقبة، صورت أقلام الأدباء الجزائريين ظلم الاستعمار ووحشيته، خاصة إبان الثورة التحريرية، في أعمال فنية متنوعة الأجناس، مختلفة المستويات. إلا أن السؤال المحيّر لماذا سكت الأدب الجزائري، بل وحتى الإعلام، عن واحدة من أبشع جرائم الاستعمار، وهي التفجيرات النووية الإجرامية في الجنوب الجزائري، وبالضبط في مدينة رقان*، مع أن نتائج هذه الجريمة لا زالت قائمة إلى اليوم، يعانيها الإنسان والطبيعة في شكل أمراض وعاهات وآفات متعددة.

ظل الموضوع مغيَّبا حتى كتب عنه الروائي الفرنسي الجنسية الإيطالي الأصل: "فيكتور مالو سيلفا" في روايته الراقية إنسانيا وفنيا: " رقان حبيبتي" وقام بترجمتها إلى العربية الأديب والأكاديمي الجزائري: "السعيد بوطاجين". وهي الرواية التي ستكون موضوع البحث في هذا المقال، حيث سنتناولها من منظور منهجية العتبات النصية.

يشكل موضوع العتبات (seuils) اليوم موضوعا أساسيا في الدراسات النقدية المعاصرة، فمنذ أن طرح جيرار جينيت G.Genetteالقضية في كتابه(عتبات– seuils) أضحى هذا الموضوع من أكثر قضايا الشعرية تداولا في الساحة النقدية المعاصرة، حيث لم تعد دراسات العتبات مجرد وصف ظاهري لما حول النص، وإنما منهج نقدي يستقرئ انعكاس الحمولة الدلالية للنص في العتبات أو المناصات أو الموازيات النصية، ودورها في تحقيق شعرية النص وهندسته الجمالية. وهو ما سيحاول هذا المقال بحثه في رواية "رقان حبيبتي"، منقبا في استراتيجية تشكيل الغلاف وبناء العنوان والإهداء، وكيف عمل هذا التشكيل وهذا البناء في كشف البؤر الدلالية المحورية للرواية وتقريبها للقارئ.

2. التعالي النصي عند جينيت وشعرية العتبات:

لمفهوم العتبات إرهاصات سابقة عند آخرين غير جينيت، كما أن له إرهاصات في كتابات جينيت السابقة (الصور– النص الجامع – أطراس)، حيث أرسى مشروعا كاملا لشعرية النص مبنيا على معطيات سيميائية ولسانية معاصرة. لقد «اعتبر جينيت موضوع البويطيقا هو "معمارية النص"سنة 1979، لكنه في سنة 1982 يرى أنه عدل عن الموضوع، ولم يبق هو "معمار النص" (architexte)، أو معماريته بما أنها مجموع المقولات العامة أو المتعالية؛ أي أنماط الخطابات، وأنواع التلفظات، والأنواع الأدبية...التي نجدها في كل نص على حدة. إن الموضوع الجديد هو التعاليات النصية (transtextualité)، أو التعالي النصي للنص. ومعناه "كل ما يجعل نصا

يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني". وهكذا فالتعالي النصي يتجاوز معمار النص» (سعيد يقطين، 2001، ص 96، 97)

حدّد جينيت خمسة أنماط من التعاليات النصية وهي: (سعيد يقطين، 2001، ص 97)

1-التناص:(intertextualité) كما حددته جوليا كريستيفا، وهو عند جينيت حضور نص في آخر كالاستشهاد...

2-المناص: (parattexte) سيأتي تفصيله.

3-الميتانص: (métatexte) وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره أحيانا.

4-النص اللاحق: ويكمن في العلاقة التي تجمع النص "ب" كنص لاحق (hypertexte) بالنص "أ" كنص سابق (hpotexte) وهي علاقة تحويل أو محاكاة.

5-معمارية النص: إنه النمط الأكثر تجريدا وتضمنا، إنه علاقة صماء، تأخذ بعدا مناصيا، وتتصل بالنوع: شعر-رواية...

ليركّز جينيت بعد صدور كتابه (عتبات) سنة 1987على المناص أو العتبات كأفق أكثر شساعة وتعقيدا وتنويعا لمداخل الشعرية، موسعا من حدود مشروع الشعرية « إلى مناطق حافة ومتاخمة للنص؛ لأنه رأى بأن النص/الكتاب قلما يظهر عاريا من مصاحبات لفظية أو أيقونية تعمل على إنتاج معناه ودلالته، كاسم الكاتب والعناوين والإهداء...، وبمساءلته لهذه المنطقة المحيطة بالنص والدائرة بفلكه، استطاع أن يضع مصطلح المناص (paratexte)؛ أي ذلك النص الموازي لنصه الأصلي، فالمناص نص ولكن نص يوازي النص الأصلي، فلا يعرف إلا به أو من خلاله». (عبد الحق بلعابد، 2008، ص 27، 28)

لم يعد موضوع العتبات النصية اليوم في واجهة الأبحاث النقدية فحسب، بل تحول من مجرد مفهوم ومصطلح نقدي إلى منهج نقدي وظاهرة نصية تشترك فيها كافة الأجناس الأدبية، فلم تعد المتعاليات النصية، أو ما يحيط بالنص من نصوص وألوان وأشكال وغيرها مجرد إضافة شكلية؛ بل أضحت شرطا أساسيا لبناء النص وتلقيه وتحليله وتحديد وظائفه ومرجعياته، وتلمّس أدواته وجماليات تشكيله.

3. العتبات النصية: الماهية والأنواع والوظائف:

عتبات النص هي جملة من الوحدات اللغوية والإشارية والرموز المحيطة بالنص والمؤدية إليه والمساعدة على قراءته فهمه، على تلقيه وتأويله، وقد ترجم مصطلح (paratexte) إلى اللغة العربية بمصطلحات عديدة كالمناص والنص الموازي ومحيط النص الخارجي والموازيات والملحقات النصية والموازي النصي والترافق والنص المحاذ والنص المؤطر والعتبات...يرجع ذلك إلى عدم الانضباط الاصطلاحي الذي تشهده ساحة النقد العربي المعاصر

واختلاف منطلقات وتوجهات المترجمين المعرفية واللغوية والمنهجية. وفي كل الأحوال تبقى هذه الترجمات تحوم في الإطار الذي حدده جينيت لهذا المفهوم النقدي وهو: « هو كل ما يجعل من النص كتابا يقترح نفسه على قرائه وبصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة، نقصد به تلك العتبة، بتعبير (بورخيس) البهو الذي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع منه...» (عبد الحق بلعابد، 2008، ص 44)

1.3 أنواع العتبات:

انصب اهتمام الشعريات المعاصرة على بنائية النص ومعماريته وصيغ تشكيله، لتتعزز بموضوع العتبات كمرتكز جوهري في تحقق شعرية النص خاصة في الثقافة المعاصرة. لقد قسم جيرار جيينيت العتبات إلى قسمين: الأول النص المحيط وهو كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب، وهو نوعان: النص المحيط التأليفي ويندرج تحته اسم الكاتب، والعنوان الرئيسي والفرعي، والعناوين الداخلية، والاستهلال والمقدمة، والخاتمة، التصدير، والملاحظات والهوامش. والنص المحيط النشري ويدرج تحته الغلاف، والجلادة، وكلمة الناشر، والسلسلة. وثانيا النص الفوقي، وهو نوعان: نص فوقي يندرج تحته اللقاءات الصحفية والإذاعية والتلفازية، والحوارات والمناقشات، والندوات والمؤتمرات، والندوات، والمؤتمرات، والقراءات النقدية، ونص فوقي خاص يندرج تحته المراسلات العامة والخاصة، والمسارات والمذكرات الحميمة، والنص القبلي والتعليقات الذاتية. (أبو المعاطي خير الرمادي، ص 2011)

2.3 وظائف العتبات:

تلعب هذه العتبات أو النصوص الموازية دورا مهما في فهم النص وتأويله وكشف دلالاته وإيحاءاته وفك رموزه. فهي شكل من أشكال التفاعل النصي ونوع من المتعاليات النصية التي تعمق شعرية النص المعاصر وتغني دلالته وتكتسي أهمية قصوى في التحليل، فهي مفاتيح إجرائية مهمة وفعالة لدخول عوالم النص وجذب المتلقي، حيث تؤدي وظيفتين: « وظيفة جمالية تتمثّل في تزيين الكتاب وتنميقه، ووظيفة تداولية تكمن في استقطاب القارئ واستغوائه فتشجعه على تصفح الكتاب في البداية ثم الإعجاب بالكتاب واقتنائه. (جميل حمداوي، 1988، ص 218).

ويمكن اختصار أهم وظائف العتبات كما يلي: (عبد المجيد علوي، ص 2014)

1-وظيفة إخبارية تتوجه إلى فئة القارئ الذي يمارس فعل فتح الكتاب والشروع في قراءته.

2-وظيفة تسمية النص: فالعنوان على سبيل المثال لا الحصر باعتباره عتبة أساسية ونصا صغيرا داخل نص كبير، يؤدي وظائف عدة تعيينية ووصفية وإيحائية وإغرائية. (عبد الحق بلعابد، 2008، ص 86، 87)

3-وظيفة التعين التجنيسي للنص؛ أي تحديد الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه.

4–وظيفة تحديد مضمون النص ومقصديته، ويقوم بهذا الدور كل من العناوين الداخلية وعناوين صفحة الغلاف والخطاب التقديمي والتنبيهات قصد إبراز الغاية من تأليف الكتاب.

5–وظيفة العبور السري للقارئ من اللانص إلى النص: بحيث إنّ القارئ يؤدي وظيفة تحقيق الخيال وتخييل الحقيقة.

إن النص الموازي للنص الأصلي هو بمثابة أرجل يمشي بها لجمهوره وقراءه قصد محاورتهم والتفاعل معهم. (عبد الحق بلعابد، 2008، ص 28)_فالعتبات أو النصوص الموازية ظاهرة نصية لا يمكن قراءة النص بمعزل عنها، فهي شرط جوهري في انبناء النص وتلقيه وقراءته.

4. –قراءة في العتبات النصية في رواية رقان حبيبتي:

رواية "رقّان حبيبتي "لفيكتور مالو سيلفا ترجمة الدّكتور السّعيد بوطاجين، والصّادرة عن منشورات عدن عام 2013م، يمكن أن ندرجها ضمن ما نسميه بالمسكوت عنه في تاريخ الإستعمار الفرنسي بالجزائر، فالرّوائيّ يتناول موضوعا لم يسبق الحديث عنه، موضوع اِنفتح على جرح تاريخيّ، مأساة إنسانيّة راح ضحيّتها سكّان عزّل في الجنوب الغربيّ من الجزائر، وتحديدا في رقّان، تجارب نوويّة غاب فيها الضّمير الإنسانيّ الحيّ، وحلّت مكانه الأنانيّة وتغليب المصلحة الخاصّة على حساب الإنسانيّة والأخلاق.

رواية "رقّان حبيبتي "جاءت نصّا تعبيريا منفتحا على هموم الإنسان في هذه المنطقة، وما عاناه من هذه التفجيرات الإجرامية، معاناة مستمرة من الفترة الإستعماريّة إلى اليوم، كشفت هذه الرواية بمادّتها الحكائيّة ووسائلها الفنيّة؛ ما حاولت فرنسا وتحاول عبثا ستره، ومحوه من ذاكرتها الإستعمارية بالجزائر، جاءت لتعرّي الضّمير الإنساني الّذي غاب عن فرنسا يوم إجرائها التّجارب النّوويّة برقّان.

1.4 ملخص الرّواية:

الشخصية الرئيسية في هذه الرواية جنديّ فرنسيّ ممّن شاركوا في التّجارب النّوويّة الفرنسيّة الآثمة بالجنوب الغربيّ من الجزائر بمنطقة رقّان، وهو نفسه السارد، رغم مرور أكثر من خمسين سنة على هذه الأحداث، لا زالت الذّكريات، الّتي ظنّ أنّه نسيها وماتت، لازالت تحيا فيه، تقضّ مضجعه، وتوقظه مذعورا، يقول لزوجته: «هل تدرين؟ إنّنا قتلنا ناسا هناك» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 11) ، ثمّ يواصل كلامه: «أكنت مخطئا؟ مخطئا؛ لأنّني رغبت في الحكي بعد سنين مديدة؟ أظننت أنّ ذلك سينقذني؟ إنّ حمولة الصّمت الثّقيل ستزاح دفعة واحدة عن كاهلي، من حياتي؟ وأنّ الفرج سيأتي بمجرّد إلقاء كلمات على الورق؟» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 11).

ثمّ تنهال الصّور المرعبة في أثناء يقظته ونومه، كتيبة المغتالين تجوب غرفته، الأطفال والنّساء والشّيوخ الّذين قتلوا، والّذين جلدهم مرض المتطاولين على الله، والّذين دمّروا في السّجون السّريّة المنفردة، أجساد متناثرة، وحيوانات مبقورة، وجراح غير قابلة للعلاج، وولادات مشوّهة، وطبيعة مدمّرة، وحتّى الّذين ألقوا في نهر السّين بفرنسا، كلّ ذلك حدث في الجزائر وفي فرنسا، في لحظات نسي فيها الإنسان أنّه إنسان.

« أريد أن أنسى كلّ هذا، لكنّه يعاودني بإستمرار كثؤلول نحرقه مئة مرّة لينمو مجدّدا في المكان نفسه» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 16). لكن نعمة النسيان لا تأتيه، فيقرر أن يلجأ إلى الكتابة لعلها تريحه وتزيح عن صدره هذا العبء الثقيل: « لقد قرّرت الآن أن أروي. أن أقول كلّ ما أعرفه. أن أتحدّث عن عذاب رقّان. عن المضحّى بهم، عن أولئك الّذين بصقت عليهم فرنسا، وفي بلدهم، لعنتها الذّريّة لعدّة أجيال» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 18)

يشرع في استرجاع ذكرياته والأحداث التي عاشها والتي تنقسم إلى ثلاث مراحل :

–في فرنسا وبالضّبط داخل المدرسة الحربيّة، يوم كان طالبا بها مدّة ثلاث سنوات، يذكر كيف تعلّم في حصّة التّاريخ مع المقدّم "ديقريمو "أنّ الجزائر فرنسيّة، والثّورة فيه، أجّجتها فئة قليلة من المتطرّفين والإرهابيّين يجب إستئصالهم من الجذور، وبعد إنهائهم تربّصهم يسافر رفقة أصدقائه إلى الجزائر، قائلا: «ستكون فرنسا بحاجة إلينا هنا وهناك؛ لضمان حقوقها وفرض واجباتها على كلّ سكّانها» (فيكتور مالو سيلفا، 2014، ص 28).

–في الجزائر: 1–الأوراس والحدود التّونسيّة، يقتل الأهالي الملتحين والمتحجّبات، يفتّشهم، يعذّبهم؛ ليثبت لهم تحضّر فرنسا وبربرية الأهالي (فيكتور مالو سيلفا، 2014، ص 41) ، صور القتل ترعب الجنود، تقيء الكثير منهم، خاصّة حينما يكتشفون أنّ المقتولين هم: «جثّة إمرأة، خاصّة حينما تكون حاملا، أو جثّة طفل، إثنتا عشرة سنة، عشر سنين، ستّ سنين، لكنّ النّقيب يشرح لنا بأنّها حرب شاملة» (فيكتور مالو سيلفا، 2014، ص 42).

يعمل تحت القائد "باستياني "أحد العائدين من الحرب الهند الصّينيّة، شارك في معركة ديان بيان فو، متعصب لفكرة فرنسا الخالدة، والجزائر فرنسيّة مهما كان الثّمن، ينعدم عنده الضّمير الإنساني؛ لأنّه قتل جنديين فرنسيّين، أحدهما رأى أنّ الحرب قذرة، والثّاني جاء معاقبا من فرنسا حينما رفض الوقوف أمام تحيّة العلم، وحينما يعبّر البطل عن رأيه في مقتل الجنديّين، يعاقب ويحوّل إلى تبسة، ومنها إلى تمنغاست، ثمّ رقّان.

2–تمنغاست ورقّان: قطع المسافة من تبسة إلى تمنغاست برّا، ولم يمكث فيها إلا ليلة واحدة، ثمّ دخل رقّان في 17–سبتمبر 1958م، يستقبله رفقة عشرين جنديّا الجنرال "قانيون "، تلقّى منه المعلومات الآتيّة: هذه قاعدة نوويّة، مصنّفة في خانة سرّ عسكريّ، يتكوّن سكّان الموقع من أربع فئات، سكّان محلّيّون هم عمّال فقط، وموظّفون تقنيّون

مدنيّون، وعاملون مدنيّون، وموظّفون عسكريّون يسهرون على أمن الموقع. هنا في رقّان ستلتحق فرنسا: « قريبا بالقوى الكبرى في العالم، علينا أن نكون معتزّين بالمشاركة في ذلك» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 118).

توفيت أمه، وكانت تراسله باستمرار، وتخلت عنه خطيبته؛ لأنّه مكث طويلا في الجزائر، لكنه لم يبال بقرارها، رقّان اِستهوته بتجاربها النّوويّة، عرف الكثير من الأسرار العسكريّة، وساهم في تنفيذ مشروع فرنسا النووي. يصف رد فعل الأهالي بعد التفجيرات : « كان غضب الأهالي على أشدّه. أكّدوا أنّ التّمور لم تعد جيّدة كما كانت عليه سابقا، وأنّ الماء يؤلمهم في البطن، إنّهم يتّهمون يرابيعنا بمسؤوليّة ولادة طفل بلا رجلين في رقّان مطلع نوفمبر، وبوفاة عديد من المواطنين المحلّيّين» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 161).

–في باريس: بعد الحرب القذرة والتّجارب النّوويّة، يعود البطل إلى بلده بعد اِستقلال الجزائر، محمّلا بأتعاب نفسيّة وجسديّة، ويلتقي هناك بمن عاشوا ويلات هذه التّجارب النّوويّة، جميعهم يعيشون و يتذكرون آثار ها، قلق، جنون، أورام خبيثة، عمى... «... لنا الحقّ جميعا في أن نعرف، سكّان رقّان وأولادهم، الجنود وعائلاتهم، وكلّ المعنيّين، من قريب أو بعيد. من حقّي أن أعرف لماذا قضيت ما كان يجب أن يكون أجمل لحظات العمر في أسرّة المستشفيّات، لماذا لم أعد أنظر في المرآة منذ وقت بعيد إلى وجهي المشوّه، ما عدا لمتابعة الورم الآتي. من حقّنا أن نعرف نحن جميعا، كلّنا، من جهتي البحر الأبيض المتوسّط» (فيكتور مالو سيلفا، 2013، ص 204).

2.4 عتبة الغلاف:

يعد الغلاف من المصاحبات النصية المؤثرة في استقطاب القارئ والمؤشرة على دلالات النص، وهو أولى العتبات لدخول عوالم النص، والولوج إلى مغاوره الدلالية، فهو أول ما تقع عليه عين القارئ؛ لذلك تحول « من وسيلة تقنية معقدة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضاء من المحفزات الخارجية والموجهات الفنية المساعدة على تلقي المتون.» (بلال عبد الرزاق، 2000، ص 21)، حيث يمثل فضاء غنيا بمختلف المصاحبات النصية ويسهم في كشف علاقتها بالنص، فما يحتويه من: صورة– ألوان– تجنيس– موقع اسم المؤلف– دار النشر– مستوى الخط...، تعتبر جميعها أيقونا علاماتيا يوحي بكثير من الدلالات والإيحاءات (مراد عبد الرحمن مبروك، 2002، 124)، فهو المعين على تكوين الفكرة الأولى عن النص، والتي تبقى ثابتة في لا وعي القارئ غالبا وتسهم بشكل أو بآخر في تأويل دلالات النص العميقة.

لا شك أن للألوان دلالات وإيحاءات متنوعة، وهي لغة إشارية ثرية تحمل أبعادا إنسانية؛ لأنها مفهومة عند كل الناس مهما كانت لغاتهم، وإن كانت أحيانا تختلف باختلاف المجتمعات والسياقات الثقافية والفكرية. ويمارس اللون في الكتابات الإبداعية وظيفة سيميائية تحيل على دلالات النص الخفية ورؤيا المبدع.

جاء غلاف رواية "رقان حبيبتي"بسيطا خاليا من أي صور وأشكال ورسومات، وبعد اسم المؤلف في الأعلى جاء العنوان ليحتل فضاء صفحة الغلاف وحيدا مفتقرا إلى أي مصاحبات نصية أخرى، لكنه جاء بارزا لأنه كتب بخط كبير، وقد استعمل فيه خط النسخ المعروف بكبر حروفه ووضوحها، وهو ما أسهم في بروزه وتغطيته على كل من اسم المؤلف، رغم أنه كتب بعده في الترتيب، وكذلك على اسم دار النشر الذي جاء أسفل الصفحة.

وقد جاء الغلاف–كما سبقت الإشارة– خاليا من أي رسومات أو أشكال، ما يميزه فقط هو لونه الأصفر الفاتح، واللون الأصفر هو « أحد ألوان الضوء المرئي هو من أكثر الألوان التي يستخدمها الرسامون في لوحاتهم وهو لون لمعدن الذهب والشمس وثمار الليمون ومعظم أنواع الأزهار». (أحمد مختار مبروك، 1997، ص 185، 186) لا شك أن اختيار هذا اللون من المترجم و الناشر–واستخدمنا هنا المترجم– ولم نقل المؤلف؛ لأننا نعتمد على نص الرواية المترجم إلى العربية والمنشور في الجزائر– لم يأت اعتباطا، فيمكن أن تنفتح محاولات استنباط دلالاته على قراءات متعددة. إن نص هذه الرواية يدور حول مدينة "رقان"الواقعة في الصحراء الجزائرية، وأكثر شيء يميز الصحراء وتعرف به هو الرمال ولون الرمال أصفر، وتتميز الصحراء بحرارة شمسها وسطوع ضوئها ولون الضوء أصفر. كما يمكن أن يقرأ استعمال هذا اللون في صفحة الغلاف من جانب آخر يرتبط بالدلالة المحورية التي يدور حولها النص الروائي وهي التفجيرات النووية وأخطار الإشعاعات الناتجة عنها، والإشعاع يرتبط عادة بالضوء ولون الضوء الأساسي هو الأصفر، مع أنه المعروف علميا أنه لا لون ولا طعم للإشعاعات النووية. فهل يرمز امتداد اللون الأصفر على مساحة الغلاف إلى انتشار الإشعاعات في منطقة رقان وما جاورها وامتداد أخطارها التي لم ينجُ منها أي عنصر من عناصر البيئة.

3.4 عتبة العنوان:

ولمّا كانت العناوين أوّل ما يقرأ المتلقّي أضحى « اِختيار العناوين عمليّة لا تخلو من قصديّة (...) إنّها قصديّة تنفي معيار الاِعتباطيّة في اِختيار التّسميّة؛ ليصبح العنوان هو المحور الّذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه » (عبد الفتاح الجمحري، 1996، ص 11). فالعنوان « قاعدة تواصلية تمكن النص من الانفتاح على أبعاد دلالية تغني التركيب العام للحكاية وأشكال كتابتها». (عبد الفتاح الجمحري، 1996، ص16).

إنّ «العنوان يسم النّصّ، ويسمّيه؛ ليصنع فرادته وسيولته داخل حضارة الإستهلاك» (أحمد فرشوخ، ص 71) ، اكتسى العنوان هذه الأهمية الكبرى من التوجه البلاغي الجديد الذي يسعى إلى كسر هيمنة العنوان الحرفي الاشتمالي؛ ليؤسس بدلا منه عنوانا تلميحيا، فالعنوان من أهم العناصر المكونة للمؤلف الأدبي، وهو سلطة النص وواجهته الإعلامية، وهو الجزء الدال منه، يساهم في تفسيره وفك غموضه. (جميل حمداوي، 1997، ص 107).

الرّواية تحيلنا من عنوانها إلى المكانة الّتي نالتها مدينة رقّان في قلب السّارد، رقّان بسكّانها، بطبيعتها، بمأساتها، بضحاياها من الطّرفين، لازالت، على الرّغم من مرور أكثر من خمسين سنة، عالقة بقلب السّارد، فهي حبيبته الّتي لم تفارق وجدانه، واِختيار لفظ "حبيبتي "المتكوّن من: حبيبة + ياء المتكلّم، جاء للدلالة على حضور رقّان في قلب السّارد، وقربها منه، وأنّها جزء لا يتجزّأ من وجدانه. وهذا العنوان هو دلالة على عمق التجربة التي عاش بطل الرواية في رقان وتأثيرها في حياته كلها.

لكن المتلقي سيستغرب عندما يقرأ اسم المؤلف "فيكتور مالو سيلفا" الكاتب الإيطالي الأصل الفرنسي الجنسية، كيف يصف أجنبي، سواء الروائي أو السارد، الذي هو جندي فرنسي شارك في حرب فرنسا على الجزائر، مدينة غريبة عنه بحبيبته، كيف تصبح الضحية حبيبة للجلاد؟ إن عنوان هذه الرواية هو من نمط العناوين المربكة والصادمة لأفق انتظار القارئ والمشوشة لتوقعاته. إنّ هذا الحب ما هو في الحقيقة إلا تعبير من السارد عن شعور قاتل بالذنب وتأنيب الضمير على الجرائم النووية التي ارتكبتها فرنسا في "رقان"، وهو قد كان أحد الذين شاركوا في هذه الجرائم، فالتعبير عن الحب هو شكل من أشكال الاعتذار العميق لهذه المدينة وساكنيها.

وإذا كان العنوان، حسب جينيت، يؤدي أربع وظائف: الإغراء والإيحاء والوصف والتعيين، فإن العنوان في هذه الرواية قد أدّى وظيفتين، وظيفة الإيحاء بمضمون النص والبوح بدلالاته الخفية، ووظيفة الإغراء، إغراء القارئ بقراءة النص؛ لأنه عنوان، كما رأينا، صادم لتوقعات القارئ، الأمر الذي سيغريه بقراءة النص واكتشاف دهاليزه الدلالية؛ ليفسر هذا الحب غير المعقول، حب الجلاد للضحية.

وجاءت كتابة العنوان بخط كبير واضح احتل فضاء صفحة الغلاف، بحيث يلفت الانتباه دون غيره من العتبات (كاسم المؤلف– المؤشر التجنيسي– دار النشر)؛ ليكون التركيز على العنوان والدلالات التي شحن بها، والتي رأينا أنها تتمركّز على الشعور بالذنب والاعتذار العميق. وكتابة العنوان باللون الأسود قد يكون لاعتبارات جمالية؛ لتناسبه مع اللون الأصفر، وقد يكون مؤشرا دلاليا على سوداوية الإحساس الذي يسيطر على نفسية السارد وحزنه العميق النابع من شعوره بالندم، ندم عقيم لا يغير شيء في واقعه ولا يمحو آثار الجريمة التي يتمنى لو أنها لم تقع، أو على الأقل لو أنه لم يشارك فيها. ومن جهة أخرى يمكن أن نقرأ العنوان الأسود الكبير القابع فوق صدر الغلاف

الأصفر رمزا لمدينة رقان الحزينة الموبوءة بمخلفات التفجيرات الإجرامية القابعة فوق صدر الرمال الصفراء الممتدة، منكمشة على نفسها متلفعة بسوداوية أحزانها.

4-4عتبة الإهداء:

أهدى المؤلّف عمله إلى: "المصابين بالإشعاعات في رقّان، موروروا**، هيروشيما***، ناغازاكي****، تشرنوبيل******، فوكوشيما*******...وإلى كلّ المصابين بالإشعاعات في العالم "جاء هذا الإهداء؛ ليضيء أكثر معالم النّصّ، ويفضح دلالاته المستترة، دلالات الشعور بالخزي والعار إزاء الجرائم النكراء التي قامت بها الدول الاستعمارية في مختلف البلدان التي احتلتها. ونستشف فيه إحساسا إنسانيا عميقا بالأسى على هؤلاء الضحايا الأبرياء وإدانة صريحة لكل القوى الإمبريالية في العالم وجرائمها ضد الإنسانية. وهو تعبير عن مواقف الكاتب ورؤاه، حيث جاء في نهاية سيرته القصيرة الموجودة على ظهر غلاف الرواية: وهو مهتم بالمسرح والموسيقى، والالتزام بعالم أقل عنفا، أقل غباء، وأقل شرّا.

ما قدمه "فيكتور مالو سيلفا" في نصه الراقي، بغض النظر عن جوانبه الفنية والجمالية المهمة، هو بحث متقدم في تاريخ الجزائر وجغرافيتها وحربها وصحرائها المريضة بالحضارة الفرنسية، وعلى مسافة مئات الكيلومترات الموبوءة بالشيطان النووي الذي لم ننتبه بعد إلى مخلفاته الفظيعة علينا، الناس والبيئة ومكوناتها من ذرة الرمل إلى أصغر كائن يؤثث الطبيعة، طبيعتنا التي تخبئ الإعاقة والموت والتشوهات التي لا حصر لها...(السعيد بوطاجين، 2013)

5.خاتمة:

رواية " رقان حبيبتي" شهادة أدبية على واحدة من أبشع جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، جريمة لازالت تحصد الضحايا، وتزرع المرض والتعاسة والعاهات، وتغتال الحق في الحياة الصحية السعيدة، وطالت آثارها الإنسان والطبيعة على السواء

تشكلت العتبات النصية في رواية "رقان حبيبتي" باستراتيجية واعية، أسهمت في كشف أبعاد النص والإحالة على رؤية المؤلف، فكل من الغلاف والعنوان والإهداء في هذا النص الروائي بنيات مكتنزة بالدلالة وغنية بالإيحاء، جاءت تؤازر النص وتشاكل بنيته الفكرية المحورية المتمثلة في إدانة جرائم الاستعمار في "رقان ". وتبقى العتبات النصية الأخرى في الرواية أفقا مفتوحا للدراسة، فهذه الرواية نص خصب وبكر، لم تمهده أقلام الباحثين بعد.

*رقان: دائرة من دوائر ولاية أدرار الجزائرية.

**موروروا: من أجمل الجزر الطبيعية الفرنسية، وتقع ضمن جزر بولونيزيا، وكان يتم استخدامها لإجراء الاختبارات النووية الفرنسية. ويكبيديا–الموسوعة الحرة.

***هيروشيما: هي مدينة في اليابان تقع في جزيرة هونشو، وتشرف على خليج هيروشيما. اشتهرت عالميا لأنها كانت أول مدينة في العالم تلقى عليها القنبلة الذرية.

****ناغازاكي: مدينة تقع على الساحل الغربي لجزيرة كيوشو اليابانية. في أغسطس عام 1945 ألقت عليها الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذرية. ويكبيديا.

*****تشرنوبيل: إحدى مقاطعات الاتحاد السوفياتي سابقا، وتقع في أوكرانيا، اشتهرت في العالم بعد وقوع ما يعرف بكارثة تشرنوبيل، وهي حادثة نووية إشعاعية كارثية وقعت في المفاعل النووي 4 من محطة تشرنوبيل للطاقة النووية يوم السبت 26 أبريل 1986، نتيجة خطأ في التشغيل بعد إغلاق توربينات المياه المستخدمة في تبريد اليورانيوم المستخدم في توليد الكهرباء مما أدى إلى ارتفاع درجة الحرارة في المفاعل إلى درجة الاشتعال. نتج عن الحادث وفاة 36 شخص وإصابة 2000 شخص، وخسائر مادية كبيرة. ويكبيديا.

******فوكوشيما: مدينة في اليابان تقع في منطقة توهوكو من جزيرة هونشو. بعد زلزال وتسونامي 2011، عانت الكثير من الضرر فقد تسبب الزلزال في كوارث أخرى: ثلاثة من المفاعلات النووية تعرضت إلى انقطاع ترددها فانصهر الوقود النووي في قلبها فيما يسمى بالحادث الأعظم، فاضطرت الجهات المسؤولة إلى إخلاء نحو 170000 من السكان بسبب تسريبات المواد المشعة. ويكبيديا.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1-أحمد مختار مبروك: 1997: اللغة واللون، عالم الكتب الحديث، القاهرة ط2.

2-أحمد فرشوخ: 2004:حياة النص-دراسات في السرد- دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1.

3-بلال عبد الرزاق:2000: مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- بيروت: دط.

4-جميل حمداوي: لماذا النص الموازي، مجلة الكرمل، بيروت عدد الصيف والخريف: 88/1989

5-جميل حمداوي: البويطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25، العدد: 03: 1997.

6-سعيد يقطين: 2001 انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ، الدار البيضاء: ط2.

7-السعيد بوطاجين: رقان حبيبتي، محراب التشكيل: تاريخ النشر: 16-03-2013- تاريخ الاطلاع: 18-07-2020. https://mohamed-boukerch.blogspot.com/2013/03/blog-post_16.html

8-عبد الحق بلعابد: 2008 عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف،الجزائر: ط1

9-عبد الفتاح الحمجري: 1996 عتبات النص-البنية والدلالة- منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط1.

10-عبد المجيد علوي إسماعيل: عتبات النص مقاربة نظرية:

تاريخ النشر: 11-05-2014 تاريخ الاطلاع: 20-07-2020. www.dadas.infos.com

11-فيكتور مالو سيلفا: رقان حبيبتي(Reggane mon amour) ترجمة: السعيد بوطاجين: 2013 منشورات عدن، الجزائر: دط.

12-مراد عبد الرحمن مبروك: 2002 جيويوتيكا النص الأدبي-تضاريس الفضاء الروائي- دار الوفاء، الإسكندرية: دط.

13-أبو المعاطي خير الرمادي: عتبات ودلالاتها في الرواية العربية-تحت سماء كوبنهاغن أنموذجا- مجلة مقاليد، العدد: 07: 12-2011.